الغزو الثقافي... اختيار أم حتمية؟

■ سارة بن مزيان*

عجزنا سياسياً فعجزنا أخلاقياً ثم ثقافياً على أن نسوّق أفكارنا للعالم. هذا حال العرب اليوم الذين باتوا مَفْرغة للعالم على الأصعدة كافة. ولأن الجماهير ملّت من التنظير السياسي، سنأخذها اليوم إلى الثقافة. فعلى ضوء الثقافة سنحلّل واقعنا الذي أصبح فيه الفرد في مرحلة ما بعد التحضّر.

عن تأثير المسلسلات التركية أتحدّث كما كان يجب - قبل قرابة أربعين سنة - أن نتحدث عن تأثير المسلسلات المكسيكية، وبعدها الأفلام الهندية. والأسئلة التي تتبادر إلى الذهن: كيف تمكّنت الدراما التركية أن تهزّ عرش العرب من خلال الصورة؟ هل مجتمعنا اليوم متعطّش لرؤية الجمال والأناقة؟ أقول لا، لأننا نملك جميلات في الجزائر في سورية ولبنان وسائر البلاد العربية. وهل هي الموسيقى القوية التي تلامس المشاعر لتضفي عليها موجة من الحنين آخذة إياها إلى امبراطورية العشق في أحيان كثيرة؟ أقول لا. لأن الموسيقى العربية تستطيع فعل هذا بالتأكيد. كيف استطاعت هذه الصورة التركية بلسان عربي سوري بارع أضاف إليها لمسة سحرية، أن تصل إلى الجماهير العربية من طنجة إلى صنعاء، لا ينكر براعة الدراما التركية إلا جاحد، ولا يعترف بجودة الدراما السورية إلا أعمى. وهنا نقول: لماذا استطاع التركي الدخول إلى البيت العربي بقوّة، في حين لم يتمكّن العربي السوري من الولوج إلى أيّ بيت في العالم، في تركيا التي تدين بالإسلام، وتشاركنا «الثقافة الإسلامية»، أو في أيّ بيت، أوروبياً كان أم أميركياً، في حين أننا نرى البيت العربي لطالما كان مفتوحاً على مصراعيه لكلّ الثقافات المكسيكية الأميركية الهندية الأوروبية فالتركية.

هل هو هروب من واقع عربي بشع على كل الأصعدة؟ أم أننا أُصبنا بشلل نفسي جعلنا نعتقد أننا أمة ناقصة غير مكتملة النضوج، لم ولن تستطيع إشباع حاجاتها النفسية السياسية والثقافية؟ نعم، هذا هو الشعور الجماعي الذي تولّد عند العرب اليوم، جاعلاً إياهم أمة ممتصّة لكلّ ما هو أجنبيّ. وهذا ما جعلهم يلهثون وراء هوليوود وما تسوّق له منذ أربعين سنة لصورة عربيّ يمتاز بالغباء والثراء، يرتدي عباءة ويلهث وراء حسناوات شقراوات في البلاد الغربية. نعم، لا بل أكثر من هذا بكثير، لطالما صُوّر العربي باحتقار وبشاعة منقطعة النظير. نعم، هذه هي الصورة النمطية التي أرادت أميركا أن ترسمها لشعبها عن العربي. وماذا عنّا؟ هل استطعنا أن نكون صورة نمطية للأميركي؟ نعم، تمكّنا من فعل هذا. فقد رسمنا صورة إيجابية، لا بل مثالية عن الفرد الأميركي الذي صوّرناه قدّيساً مثقّفاً متعلّماً خالياً من كلّ العيوب. متناسين في ذلك الجانب الميت والقاتل من الحضارة الغربية الذي يتجسّد تماماً في المجتمع الأميركي الذي فقد كل مقوّماته الأخلاقية والنفسية، حين اختلطت عنده الروحانيات، فبات ماسونياً يمجّد الشيطان. وحين اشتبه عنده مفهوم الجنس، فأصبح غرائزياً بحتاً حتى تبنّى المثلية الجنسية معنوناً إياها بالحرّية الشخصية، فمسخت عنده كلّ معاني الإنسانية والأسس البشرية التي قام عليها الكون. هكذا فعلت أميركا، وهكذا فعلت المكسيك التي لم يخلُ مسلسل من مسلسلاتها من قسّ ذي مكانة اجتماعية له دور في كل تفاصيل المجتمع. هكذا تمسّكت المكسيك بمذهبها المسيحي الكاثوليكي وهكذا صوّرت أميركا العربي ذليلاً و الأميركي بطلاً منقذاً العالم و قادراً على تخطّي الصعاب. وهذا ما تفعله تركيا من خلال نشر ثقافتها في ربوع العالم العربي المسكين حتى بات الشباب ههنا يتغنّون بـ«مراد علم دار» البطل، والفتيات تموت من أجل عيش قصة حبّ «لميس» وكل المواليد حملت هذا الإسم و الكل أصبح مهند حتى إذا تمعنا في موقع «فايسبوك» وجدنا جلّ أسماء بروفيلات العرب تحمل أسماء لممثلين وممثلات من تركيا. إنها أزمة هوية، وانبهار ثقافي ولد فرداً عربياً ألغى ذاته وتشبّه بالآخر. إنها ليست صوراً فحسب، بل هي انعكاس لأفكار وقناعات لشباب وشابات سيصبحون في المستقبل أباء وأمّهات.

نحن لسنا ضدّ الثقافات، وربما سيصفنا البعض بالمتعصبين أو المعادين للأجانب ولكنّنا لم ولن نكون كذلك، حاشا أن نحتقر الغرب أو الأجانب. ما يقلقنا اليوم غيرة وخوف على هذه الهوية التي نخشى ضياعها. إنه قلق على هذا الوطن الذي كان ولا يزال مَفْرغة لمختلف الثقافات العالمية. هي الغيرة على هذه الهوية العربية التي ليست وليدة اليوم، والتي تبلورت لقرون من الزمن ولم تبقَ إلا بتضحيات أجيال وأجيال في ظلّ امبراطوريات ودول. فهؤلاء كانوا غيورين على هذه الهوية، حملوها وأضافوا إليها حتى وصلت إلينا بهذا الشكل الذي هي عليه اليوم. وهنا نتساءل: هل الأجيال العربية قادرة على مواصلة هذه الرسالة وكذا الحفاظ على هذا الإرث الحضاري؟

إذا تمعنّا في الإنتاج الدرامي العربي، نجد أن الدراما العربية السورية لطالما كانت مميزة وبارعة منذ سبعينات القرن الماضي. ويتجلى هذا في أعمال دريد لحام وياسر العظمة وغيرهما من المبدعين الذي يلقنوننا دروساً في السياسة والثقافة والإنسانية في كل كلمة يلفظونها. كما تزداد هذه السنوات الاخيرة حيث أصبحت عبقرية رغم الحرب، من حيث الأداء والسيناريو وكذا الإخراج. فقد تمكّنت الدراما السورية من ترجمة التأييد و«المعارضة» كما لم يفعل أيّ شعب آخر من الشعوب التي عاشت الحرب، وكأنها وحدها تفردت بهذه المعاناة التي إن لم نشعر بها من خلال نشرات الأخبار، فشعرنا بها من خلال الدراما، والتي هي انعكاس للواقع الاجتماعي للشعوب. فعن طريق ذلك الحوار الراقي القويّ الذي يلامس المشاعر أحياناً كثيرة، ويولّد التساؤلات عن ماهية المنظومة التربوية التي تلقاها هذا الشعب وكذا التنشئة الاجتماعية اللتان جعلتاه قادراً على ترجمة واقعه بهذه الصورة القوية كاملة التفاصيل، استطاع من خلالها الوصول إلى كل البيوت العربية. وللأسف لم يستطع الخروج إلى العالم على رغم جدارته واستحقاقه. وهذا ما لم أجد له تفسيراً سوى أن الشعوب الأخرى في العالم مصمّمة على رفض الثقافة العربية الإسلامية لسببين اثنين. الأول ناجم عن استصغار للعرب، والثاني ناجم عن حقد لا يزال ساكناً في نفوس الغرب الذي يدّعي عكس هذا، ويتغنّى في كلّ فرصة بإنسانيته العالية. هؤلاء هم الغرب، وهذا هو حالنا اليوم. فنحن شعب غير قادر على تسويق وإيصال أفكاره وثقافته، في حين نعتقده بارعاً في امتصاص واستيراد كل ما هو أجنبيّ على كل الأصعدة. وفي كل المجالات، إن العربي اليوم في حالة ما بعد التحضّر، وهو يعيش المرحلة بامتياز.

*كاتبة من الجزائر

الساحر يملأ فضاء السويد والدنمارك عشقاً وطرباً

جودي يعقوب

بليل ساهريّ في القاعة الرئيسة للموسيقى الأوركسترالية في قلب العاصمة السويدية ستوكهولم، والتي تعدّ منذ أن افتتحت عام 1926 مركزاً للأوركسترا الملكية، حيث تتمّ فيها أيضاً مراسم تسليم «جائزة نوبل»، و«الجائزة القطبية للموسيقى» التي تنظم فعالياتها سنوياً أسرت قاعة الاحتفالات هذه بنمطها الكلاسيكي الحديث عشّاق الإيقاعات الملتزمة، حيث اكتست قاعة الحفلات الموسيقية الأزرق بصبغة جميلة وأنيقة، حضرت فيها الرومنسية بكل أشكالها، وحضرت معها الرقّة في الأداء، ما بين جمال الصوت وانتقاء الأغنيات، لتتشكّل لوحة فنية كاملة تليق بقيصر الأغنية الفنان كاظم الساهر.

ضجّت أرجاء القاعة بالتصفيق والتهليل في أمسية غنائية لأجمل ما أنتج من موسيقى شامية وعراقية خلال العقود الماضية. قصائد نزارية معطرة بموسيقى الساهر وصوته، في لحظات رومنسية انسابت معها الكلمات وتجاوب معها الجمهور الذي حضر بأعداد استثنائية من جنسيات وأعمار مختلفة، اجتمعت على حبّ هذا الفنان وأغانيه.

جمهور الأغنية الجميلة، الذي أصبح يعاني اليوم من آلام الاغتراب، جاء إلى الساحر ليأخذه إلى آفاق أخرى، فكان هذا الحفل فرصةً مهمة لتهدئة نفوس المغتربين المتعطشين لأجواء تعيدهم إلى ذكريات الوطن، للتخفيف من معاناة الغربة لما تمثله من آهات ومرارات قاتلة لا يشعر بها إلا من عانى من ويلاتها، وما تحمل في مكنوناتها من أعباء وكآبة مفرطة في بلد بارد مثل السويد. فالصوت الشجيّ الذي يتمتع فيه قيصر الأغنية ساعد بلا شك في تسكين معاناة المغتربين واشتياقهم لبلادهم الأمّ، وتجلى هذا واضحاً في الفرحة التي ارتسمت في عيون الحاضرين عند رؤيتهم فنانهم.

غنّى الساهر للحبّ والوطن، كما كان الجرح العراقي حاضراً في سهرة سفير «يونيسف» للنوايا الحسنة، حيث دوت صرخته عالياً فاهتزّت لها القاعة في ليلة ولا كلّ الليالي، فطال الغناء وعانق صوت الساهر أرواح جمهوره الذي تجاوب مع كل أغانيه.

حفل كان فيه الكثير من التميّز، ورقي فنيّ معهود مع حرص شديد والتزام عالٍ بما يقدّمه القيصر من رسالة ثقافية دامت لأكثر من ثلاثة عقود، بخلطة شامية - عراقية قوامها النجاح، ومزيج بين أعمال شعرية رائدة ومؤلفات موسيقية عبقرية خلقت القصيدة المغنّاة التي ترتقي إلى أعلى مستويات الكلام واللحن والإحساس، والتي تفنّن القيصر بأدائها، لتعبر حدود القارات وتحاكي قلوب الملايين.

«لأني أحبكم أغنّي»، فغنّى السلام وغنّى المرأة لتكون بجمالها ورقتها حاضرة بصوته. اختيار قصائد ترتقي في مستوى المستمع ليكون فيها شيء من التميّز، جعل الساهر يتعمّق في روح الكلمة أكثر، ويتعمق في روح الموسيقى أكثر، وتذهب القصيدة من القلب إلى القلب لتلامس الروح فتنثر حباً في قلوب عشاق القيصر برومنسية ممزوجة بألم الشوق إلى رائحة تراب الوطن.

وكعادة الساهر عندما يمتع جمهوره، يُخرج مسرعاً من المسرح حتى تخف حالة الهستيريا التي أصابت البعض بعد خروج كاظم من دار الأوبرا، ومحاولة اللحاق به إما لمصافحته أو التقاط الصور معه. وبسبب الحالة الأمنية المشدّدة، لم نتمكن من تسجيل لقاء صحافي معه.

تبعنا القيصر لحضور حفلته في الدنمارك، في «دار أوبرا كوبنهاغن» التي يقع بناؤها مقابل قصر الملكة، والتي شيّدت لتكون مهداة إلى الملكة مارغريت الثانية، وتعدّ من أغلى دور الأوبرا التي دُشنّت في العالم، لبدلّ ذلك على الذوق الراقي الذي يفرضه كاظم على عشاقه في الاستماع إليه من على المسارح فقط، بعيداً عن طقطقة الصحون والملاعق.

وكسابقه، كان الحفل ناجحاً بكل المقاييس. وهذا دليل على رسوخ فنّ كاظم الساهر في وجدان محبّيه، وقدرته على الاحتفاظ بصورة راقية عن الفنّ الأصيل والثقافة السورية، التي عشقها المستمع السوري وبات على علاقة سمعية متينة بين الأغاني والألحان العذبة. وبمودّة أكبر مع القصائد والكلمات التي يسهر عليها الساهر كثيراً ليترجمها بالحبر على الورق.

قيصر الأغنية ارتقى عالياً بإبداعه وأدائه المتميز فوق مسرح كوبنهاغن، في ليلة من العمر مليئة بالحماسة والتفاعل، من خلال الأغاني الرائعة التي اختارها، فأمتع جمهوره الذي ردّد معه الكلمات والألحان، وتناغم مع القيصر في ليلة من العمر باتت، ومن دون أدنى شك، محفورة في الذاكرة.

صباح اليوم التالي، كانت الدهشة كبيرة عندما رأينا القيصر في بهو الفندق حيث نزلنا في تلك الليلة، كان يلتقي بعض أقاربه. حاولنا استغلال هذه الفرصة لإجراء لقاء صحافيّ معه، واحترمنا قراره الابتعاد عن اللقاءات الصحافية، إذ بادرنا بلهجته المحبوبة: «أرجوك أرجوك أرجوك، أبعديني عن اللقاءات الصحافية»، أخبرناه كم يحبه جمهوره المستعد للحلق به حتى لو إلى الصين، فأجاب مبتسماً: «ان شالله تكونوا تونستوا؟».

هل يدرك القيصر أنّ حضوره فقط يستطيع نقلنا من عالم إلى آخر ملآن بالسحر والرومنسية؟ لذلك، من الطبيعي أن يبقى الحفل حديث الناس لفترة طويلة، وأن يطاول الحديث جوانبه كلّها، من أداء مبهر وراق، وتجاوب غير مسبوق من قبل الجمهور مع فنان مُثل كاظم الساهر، النبيل بصوته وبراءة محيّاه التي تلامس في بعض الأحيان... الطفولة!

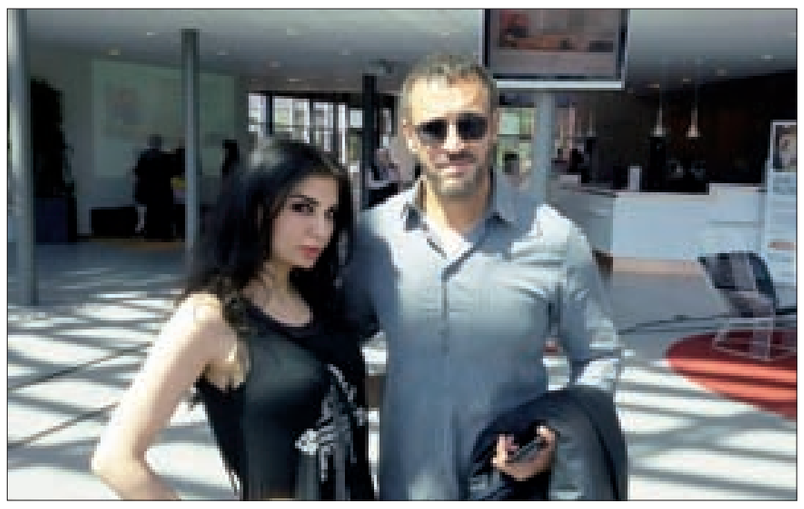

رياض شيّا... وداعاً

ودّعت السينما السورية أمس المخرج السوري رياض شيّا، من مواليد السويداء عام 1954، وذلك في أحد مستشفيات باريس عن عمر يناهز 62 سنة، بعد صراع طويل مع سرطان الحنجرة.

درس رياض شيا في معهد السينما في موسكو، وأنجز خلال دراسته فيلماً تسجيلياً قصيراً يتأمل في مصير أحد المشاركين في «الثورة السورية الكبرى»، وآخر (مشروع التخرج) روائيا.

«اللجاة»، هو تجربته الروائية الطويلة الأولى والوحيدة، التي أنتجتها المؤسسة العامة للسينما عام 1995، حيث اختار المخرج السوري الشاب رياض شيّا، حكاية جارحة من بيئة محافظته السويداء، كانت في الأصل قصة طويلة كتبها ممدوح عزّام، وأعاد المخرج والمؤلف التصرّف بها في سياق سيناريو فنّي تعاونا في كتابته.

فيلم «اللجاة» يتناول مأساة الحب في سياق العلاقات الاجتماعية المتناقضة معه والمتربصة به، في لغة بصرية تؤكد على مركزية دور الكاميرا، حيث يلاحظ المشاهد اعتناء المخرج بتقديم الوجوه في تعبيراتها القاسية، في تجاعيدها وتغضناتها وصمتها، بديلاً من الحوارات. هنا تتبادل وجوه الممثلين وحركة الكاميرا عليها وعلى المكان، التعبير عن السياقات والتطورات الدرامية، فالسرد الدرامي إذ يتنازل عن الحوارات الطويلة يجد مساره الأجمل في قوة المشاهد، القوة البصرية المشحونة، والمفعمة بطاقة التعبير، ثمّ الوصول إلى مشاهد يتابع بانتباه ويقظة ولا تفوته جزئية أو تفصيل.

أثارت الحلول الإخراجية البصرية عند رياض شيّا، حوارات طويلة بين المخرجين والنقاد بإعادتها الاعتبار إلى مركزية الصورة في الدراما السينمائية التي نجحت في تقديرنا بفضل السيناريو الموفق، الذي ساعد في إسقاط أيّ حوارات زائدة. وقدّم حكايته السينمائية في صياغة بصرية مسكونة بهاجس التعبيرية المؤثرة. اعتقد شيا أن تجربة التمثيل جاءت في هذا السياق البصري شديدة الاختلاف، إذ هي وضعت الممثلين أمام تجربة التعبير شبه الصامت، وهي بدورها تجربة دفعتهم لاستنفار أقصى ما لديهم من مواهب من خلال تصعيد تمثلهم للأدوار التي لعبوها في الفيلم بأقصى ما يمكنهم التمثل.

قدّم المخرج في «اللجاة» عدداً من الممثلين المعروفين، ونجح في إسناد البطولة إلى الممثلة الشابة حنان شقير التي قدّمت أداءً عفوياً، فيه الكثير من التعبيرية الصادقة.

حاز الفيلم على عدد من الجوائز منها: جائزة مهرجان دمشق السينمائي (الجائزة الفضية عام 1995)، ثلاث جوائز في مهرجان الإسكندرية السينمائي 1996 وهي: جائزة أفضل تصوير (عبده حمزة)، جائزة أفضل مونتاج (أنطوانيت عازارية)، وجائزة أفضل إخراج (رياض شيّا).

هويات أمين معلوف القاتلة

■ إيمان شمس الدين*

كان لكتاب «الهويات القاتلة» لأمين معلوف صدى كبيراً في المجال الثقافي، على رغم وجود قراءة نقدية لبعض أفكاره الملتبسة، إلا أن محور فكرة معلوف في الهويات القاتلة، كان يدور حول العنصرية ودوغمائية فكرة الهوية.

وعلى رغم أنه رفض ثبات الهوية وانغلاقها ورفض كل أنواع الهويات العنصرية، والعنصريات المغلقة هوياتياً، إلا أنه خالف تلك الأفكار عملانياً من خلال قبوله الظهور على قناة «i24» الصهيونية، في حديث ثقافيّ كخطوة تطبيعية لا تبرير لها سوى التطبيع المغلّف بحجة الثقافة.

عنصرية الصهاينة هي من أشدّ أنواع العنصريات الهويانية على الإطلاق في عصرنا الحالي. وموقف أيّ مثقف، خصوصاً عربي ينتمي إلى بلد عانى احتلالاً صهيونياً وقدّم شهداء في سبيل التحرير، بالتالي يكون مجبراً على رفض التطبيع، لا بل مجبراً على ترويج ثقافة الرفض ومقاومة التطبيع.

إن سقطة أمين معلوف بألف سقطة لمكانته الفكرية والأدبية، ولا نعلم هل خضع معلوف لضغط اللوبي اليهودي الذي بات مسيطراً في السنوات الأخيرة على سياسة فرنسا كما ثقافتها خوفاً من اتهامه بالتمييز العنصري إذا رفض إجراء اللقاء؟

إن المقاطعة ثقافة مقاومة يفترض توقّعها من شخصيات رمزية متقدّمة ثقافياً وأدبياً كشخصية أمين معلوف، على رغم أنني لست من المنبهرين بكلمة مثقّف ومفكّر التي سقطت كل معالمها عند أعتاب «الربيع العربي»، وما زالت تسقط عند كل موقف مبدئيّ نتوقعه من شخصيات كهذه، وإذا بها غالباً ترجّح وجودها وكينونتها الذاتية على الوجود الإنساني الاجتماعي وقضايا الأمة العادلة، خصوصاً قضية فلسطين التي باتت انتهاكات الصهاينة يحقها وحق أهلها في طيّ نسيان غالبية المثقفين، كونها قضية لا تحقّق لهم مكاسب ولا شعبية، خصوصاً بعد انغماس المجتمعات العربية في قضاياها الداخلية وفي الاقتتال المذهبي، وشيطنة المقاومة وقضية فلسطين من خلال ربط أعمال بعض الفلسطينيين المنتمين إلى «داعش» بالقضية الفلسطينية، وكأن فلسطين التي هي مهد أنبياء كثيرين... متعلقة بأفراد!

لقد كشف «الربيع العربي» الستارة عن أزمة المثقفين في العالم العربي، وأماط اللثام عن أزمة القيم التي تعاني منها غالبية المثقفين، وعن علاقاتهم المبطنة مع السلطة، بل عن سعيهم الحثيث لجعل الثقافة جسراً لعبورهم نحو مصالحهم على حساب آلام الناس وهمومهم.

أمين معلوف اليوم يلتحق بركب هذه الطبقة المأزومة قيمياً، والتائهة مبدئياً، والملتبسة ثقافياً، حيث رفض التطبيع لم يعد بديهياً، بل التطبيع له مبرّراته عند هؤلاء من دون أدنى خجل من دماء الشهداء وعذابات الأسرى الذين تمارس الصهيونية في حقهم أبشع أنواع الانتهاكات يومياً. فأيّ تثاقف لمعلوف مع الصهاينة الذين لا يدركون سوى لغة الدم والاحتلال؟

وهو الذي اعترف في هوياته القاتلة بأن هناك حقوق ملازمة لكرامة الكائن البشري يجب ألا ينكرها على بني جنسه بسبب دينهم أو لون بشرتهم أو جنسيتهم أو جنسهم أو أيّ سبب آخر. ثم يقرّ بأن قليلين من البشر الذين يعارضون هذه المسلّمة من ناحية المبدأ، ولكن الكثيرين يتصرفون عملياً كما لو أنهم لا يؤمنون بها قط. وأجلى مصداق لذلك هو الكيان الصهيوني الذي لا يعترف بأيّ حق إنساني إلا بالدعايات وكشعارات. أما في الواقع، فهو يمارس كل الموبقات بحق الفلسطينيين يومياً.

فهل يمكن لمعلوف أن يفصل ثقافته عن مبادئه وكتاباته بحجة التثاقف مع الصهاينة؟

قد ندرك التباسات السياسة والسياسيين في الأنظمة العميلة التابعة كقطيع لرعاتها حينما تعترف بوجود هذا الكيان الغاصب، وهذا إدراك واقعي لا إمضائياً، لكن ما لا يمكن إمضاءه، مساوقة حركة مفكّر كأمين معلوف لتلك الأنظمة في عملية التطبيع.

فالمثقف كلما أبحر في الفكرة كلما اتضحت معالمها كمشروع متكامل في ذهنه وانكشفت له الوقائع والحقائق بعيداً عن ملابسات السياسة.

لقد التبست هويات معلوف عليه لتقتله هو عند قبوله اللقاء مع الصهاينة كخطوة تطبيعية، يمكنها أن تمهّد لمعلوف فوزه بجائزة نوبل حيث تم ترشيحه لها. لكنه بهذه الخطوة التطبيعية طبع في ذاكرة الشعوب وصمة عار أبدية على اسمه ستلاحقه عربياً وإسلامياً.

*كاتبة وباحثة

«الشريان» متّزن... و«قناديل رمضان» فاز بالرهان

جهاد أيوب

السهرات الرمضانية الفضائية هذه السنة تكاد تكون معدومة، والمتابع المحبّ لهذه النوعية من البرامج التي سيتعرف من خلالها إلى فنانيه ونجومه، وجد ضالته عبر برنامج «الشريان» على قناة «mbc» إعداد وتقديم داود الشريان، وقناة «الإيمان» من خلال برنامج «قناديل رمضان» إعداد وتقديم صفاء مسلماني.

«الشريان» ينطلق عبر قناة لها جمهورها العربي الواسع، ولها طول باع في تقديم هذه النوعية من البرامج، وهمّها في الدرجة الأولى إبراز الشخصيات الخليجية وبالأخص السعودية منها. لذلك وضعت للبرنامج موازنة كبيرة ليتمكن من دون عائق الشحّ الإنتاجي الذي تعاني منه جميع الفضائيات العربية، من استضافة كبار نجوم الغناء والفنّ والإعلام من مختلف أنحاء العالم العربي.

الحلقة الأولى من «الشريان» كانت مع المطرب محمد عبدو الذي تحدّث ببساطة وبذكاء، وكان حواره غنياً ومشوّقاً، وتتالت الحلقات مع المطربة الكبيرة سميرة توفيق حيث أفاضت بالحديث عن ذكرياتها، ثمّ الفنان السعودي ناصر القصبي، والفنانة المصرية ليلى علوي.

البرنامج متّزن، يبتعد عن الفضائح، ويدخل إلى العمق بهدوء، ورغم أنّ مقدّمه داود الشريان ينتمي إلى نمطية كلاسيكية لكنه مجتهد، يحاول ألا يكرّر نفسه أو يقلّد غيره، لذلك لا يشبه إلا نفسه، وينجح من خلال إشعار ضيفه بالمحبة والهدوء.

أما برنامج «قناديل رمضان»، فيعتبر تجربة أولى لقناة «الإيمان» في مجال السهرات الفنية، والتي لا تهتم كثيراً للبرامج الحوارية المنوّعة بقدر اهتمامها الأساس بالبرامج الدينية. واقتضت أن تكون سهراتها المنوّعة في رمضان عبر هذا البرنامج الذي أنشأت لنجاحه فريق عمل متفرّغاً، وضوابطها كانت الجدّية والاتزان، واحترام الفن والثقافة بعيداً عمّا هو سائد في القنوات الأخرى، والبرامج المنوّعة.

اختيرت لتقديم البرنامج، الإعلامية المثقفة صفاء مسلماني، التي بدورها أضافت رونق خبرتها في الإعلام. واكتسبت صفاء خبرة واسعة من خلال دراستها وتجربتها الزمنية المتمثلة في عملها في قناة «المنار»، وفي إذاعة «النور». وهذا الاختيار خفّف من همّ عدم التميّز عند إدارة المحطة، وأصاب صفاء بقلق المغامرة والاختلاف، وعدم التكرار، والنجاح في ظلّ إمكانيات إنتاجية محدودة.

صفاء وجه إعلاميّ محبّب وهادئ، تصلح للبرامج الحوارية المنوّعة بثقة المثقفة العارفة أصول مهنتها وحدودها، ماذا تفعل، تعدّ فقراتها جيداً، تصرّ ألا تقاطع ضيفها ولا تستفزّه، وتحترمه لمجرّد جلوسه أمامها. لا عقدة من الكاميرا لديها، همّها أن تُنجح برنامجها بعيداً عن الإثارة والفضائح.

«قناديل رمضان»، على رغم غرابة الاسم البعيد عن العصر، ولمجرّد نطقه نشعر أننا خارج هذا الزمن. البرنامج واحة من حوار ثقافي يحترم المشاهد، ويقدّم له وجبة غنية من المعلومات والحوارات الشيّقة، لا إسفاف فيه على رغم تنوّع الضيوف، ولا إشكالية حوارية يقع فيها على رغم تطرّق البرنامج إلى أكثر من موضوع حسّاس خلال ساعة واحدة مع ضيوفه. وهذا أبعد الملل، وغيّب التكرار، وفرض المتابعة بذكاء الإعداد والمحاورة التي تركت المُشاهد ينتظر جديد الفقرة المقبلة.

ومن ضيوفه الذين تجاوز عددهم أكثر من ستين شخصية، نذكر الشاعر محمد علي شمس الدين، العميد أمين حطيط، الشاعر شوقي بزيع، غسان سركيس، الفنان والكاتب عمر ميقاتي، د. أمين الساحلي، الأب يوسف مونس، د. طلال عتريسي، الفنان سعد حمدان، الشيخ ماهر حمّود، الشاعر الإعلامي عبد الغني طليس، الصحافي ابراهيم بيرم، الصحافي ابراهيم عوض، النائب عباس هاشم، الوزير طراد حمادة، الفنان علي شقير... وغيرهم، كما حظينا بشرف استضافتنا في إحدى حلقات البرنامج.

الزميلة صفاء مسلماني